المرأة اليونانية القديمة والتعليم العالى

للآنسة زينب الحكيم

التاريخ سجل يطوى فيه أسرار الأجيال . قلبت بين صفحاته عن بعض حالات المرأة اليونانية الغابرة ، فوجدت كل معجب مدهش ...

وفى الحق ليس من المستغرب أبداً أن وجدت سيدات من الدرجة الأولى فى المواهب العقلية بين ناس امتازوا بالثقافة العالية كاليونانيين

وسافو Sapho الشاعرة اليونانية مثال من الأمثلة الخالدة لهؤلاء السيدات . لقد كانت ذات سطوة قوية على بنات جيلها ، وظهر نتاج مجهوداتها الموفقة بين تلميذاتها الكثيرات، واشتركت السيدات برغبة فى درس الشعر ونظمه . وشجعهن على الاستزادة من ذلك مناصرة عدد كبير لهن من مشاهير الرجال النيورين على ترقية المرأة ، فاستحسنوا أن تتعلم تعليماً عالياً وساعدوها على المطالبة بذلك بكل ما أوتوا من قوة

من هذا نرى أنه منذ العصور المبكرة نودى بتعليم المرأة وبالمساواة بينها وبين الرجل فى اليونان

ففى القرن السابع قبل الميلاد ، تشبث كليوبليس Cleobulus — وكان أحد حكماء اليونان السبعة — بأن ينال النساء التمرين العقلى الذى يناله الرجال ، وأوضح مبدأه بتعليم ابنته كليوبلين Cleobuline التى صارت شاعرة ذات شهرة واسعة فيما بعد

وبيثجوراس Pythagoras الذى احتفل بإعلان مذهبه الفلسفى فى القرن السادس بجنوب إيطاليا ، أشار بوضوح إلى ضرورة المساواة بين الجنسين ، واخترع خطة لتعليم النساء ، كان من شأنها أن جعلتهن منتجات فيما يتصل بتدبير المنزل ، كما جعلتهن ممتازات فى الثقافة الفلسفية والأدبية .

وأشار أفلاطون بضرورة تعليم المرأة على قدم المساواة مع الرجل ، وسمح بقبول النساء لسماع المحاضرات الجامعية

وفى أيام الاسكندر شجع تحرير المرأة بشكل قوى ، ومن ذلك الحين نرى أن النساء اشتركن فى دراسة جميع الفروع العلمية دراسة عملية

وفى الإسكندريه خاصة ، تعلمت بنات الأساتذة العلماء ، تعليما عالياً ، فواصلن دراسة الفلسفة واللغة ، وعلم الآثار القديمة ، وقد اشتهر منهن كثيرات

وفى الفترة اليونانية الرومانية ، نادى بلوتارخ بتعليم النساء ، وقد انتشر التعليم بينهن فى أيامه إلى حدّ بعيد محمود

وأسباسيا « Aspasia » وضعت (موضعة) تعلم علم البيان والفلسفة ، كعمل تظهر به المرأة فى المجتمع الأثينى ، وأصبح الانتماء إلى جماعة نصيرات التعليم العالى بدعة سارية ، حتى أن كثيرات من نساء الطبقات الراقية (الشريفة) شغلن أوقات فراغهن بقراءة الفلسفة والشعر ، وحصلن على نوع من التعليم ، وإن لم يكن شعبياً ؛ فقد كان خصوصياً من محاضرين فنيين

ميول النساء فى ذلك العهد

ظل الكثيرون يعتقدون أن الشعر كان المجال الطبيعى للمرأة ؛ يضاف إلى ذلك الفلسفة فى الدرجة الثانية ، إذ صارت الفلسفة الحرفة العامة التى أجدن تعلمها حينئذ . ولكن لعله لا يغيب عن ذهن القارئ والقارئة ، وصف مدرسة سافو الشاعرة فى جزيرة Lesbian الجميلة التى أوى إليها الهيلينيات لدراسة الشعر والفن

إن جمال جزائر لسبوس الطبيعى ، وحياة الطبقة الأرستقراطية المترفة ، وتوقد ذكاء وحذق سافو نفسها ، وحبها الخالص لصديقاتها

الفتيات من بنات جيلها ، كانت كلها مؤثرات قوية محبوبة فعالة لأهل زمانها

ليس من المستغرب إذن أن أكتسبت النساء حب الشعر وأولعن به ، كما طبعن على الجاذبية لكل شيء جميل فى الطبيعة فى تلك البيئة ؛ كما اكتسبن من مخالطتهن افنانة مطبوعة ، ومعلمة ماهرة مثل سافو أعلى الصفات

(سافو) تمثال رخامى بفيلا ألبانى فى روما
القرن الخامس قبل الميلاد — من مجموعة «الدكتور أحدموسى»

حتى لقد قيل : إنه وجدت ست وسبعين شاعرة من بين نساء اليونان القديمة ، غير أنه لسوء الحظ لم يحتفظ لنا سجل التاريخ إلا بأسماء قليلات منهن ، بلغ عددهن تسع شاعرات ؛ لقبن بآلهة الشعر الأرضيات

عندما اتسع المجال أكثر أمام المرأة فى عهد البطولة Heroic Age مهرت النساء فى استعمال النباتات فى فنون السحر ، وفى تطبيب الجروح . وعندما أصبح الطب علماً ، اشتغلت النساء بفنون منه. وظهر اختلاف أمزجتهن واستعداداتهن وميولهن الطبيعية، فمنهن من اشتغلت بالعلوم الطبيعية ، وعلم البيان والتاريخ واللغة ، وأحبت كثيرات علم النقد ، وانتشر بين بنات العلماء

ومن هذا يتضح فساد زعم من ظنوا أن مجال المرأة الطبيعى كان الشعر فحسب . ولعلنا نطمئن إلى هذا الحكم الذى يؤيده علم النفس المقنن فى القرن العشرين

بنات الشاعرات

شاعرات اليونان اللائى سبقت الإشارة إليهن وشبيهاتهن ، كونّ نهضة مباركة من بناتهن اللاتى ورثنهن الميول القوية للفنون والآداب ؛ فكان منهن الموسيقيات ، والمصورات ، والشاعرات ، والفيلسوفات

والتاريخ وإن لم يدلنا على أنه وجد من بينهن ناحتات للتماثيل أو مكونات لها ، يذكر الفضل فى اختراع هذا الفن إلى فتاة من كرنثيا Corinthia

والأثر إن صح يروى الآتى :

كانت الفتاة كورا Cora ابنة بوتادس Butades على وشك أن تودع حبيبها ، وربما كان الوداع الأخير ، لأنه كان معتزماً القيام برحلة طويلة . واتفق أن خياله انعكس على الحائط ، إذ كان الوقت ليلاً ويضيء المكان مصباح . فخطر للفتاة أن تحتفظ ولو بهذه الذكرى من حبيبها ، فرسمت محيط خياله فى حياء . فلما رأى والدها ذلك العمل ، دفعته غريزته الفنية إلى أن يملأه لها بالصلصال ؛ فكون تمثالاً لحبيبها ، كان ناجحاً بعد حرقه فى النار

المصورات

كانت لالا Lalla من نساء مدينة سيزكس Cyzicus من أقدر المصورات بالألوان ، وكان من أخص صفاتها السرعة فى العمل (مثل الملكة فكتوريا) ، ومع ذلك لم ينقص ذلك

شيئاً من مزايا نتاجها ، واعتبرت أول مصورة فى وقتها حذقت الرسم بالألوان وعلى العاج . وكل ما لونته من الرسوم كان صوراً لسيدات

وأخبرنا پليني Pliny أنها صورت نفسها فى المرآة وهى عجوز ، وقد عرضت هذه الصورة فى معرض نابلى

وعثر على صورة أخرى لها فى بمباى ، وتمثل فتاة تجلس على مقعد يقرب من الأرض وتنظر إلى تمثال ، وفى يدها اليمنى ريشتها ممتدة إلى صندوق ألوانها وفى يسراها لوح للتصوير . وثيابها منسدلة بأناقة حولها . ويحيط شعرها المتموج رباط لطيف يتدلى حول رقبتها وأكتافها ، ويظهر على محياها سحة تفكير وعلم تضئ أسارير وجهها الرقيق . فإذا صح أن هذه تمثل صورة « لالا » فإنها لا بد كانت جميلة فاضلة

الفيلسوفات

نبغت كثيرات من بنات اليونان فى الفلسفة والحرف العقلية فى مدارس پيثجوراس «Pythagoras»

جاء فى الأثر أن تأثير پيثجوارس فى كارتون «Karton» كان عظيما جداً ، حتى أن نساء المدينة أحضرن ملابسهن الثمينة وحليهن من عقود وأساور ، إلى هيكل هيرا Hera وأودعنها كمنحة للفضيلة العائلية . وآلين على أنفسهن منذ تلك الساعة أن يكون الحزم والحشمة رائديهن ، ولن تكون الثياب الثمينة بعد الآن ما يتحلى به جنسهن ، مستعيضات عن ذلك بالعلوم العالية والثقافة.

لعمرى لقد كان قسما شريفا ومقصدا ساميا صنعت به المرأة اللبنة الأولى فى بناء الإنسانية الحق . وهل من شك فى أن العامل الأول فى أى نهضة يتوقف على المرأة ؟ إذن عليها أن تبادر بوضع بذور كل نهضة لتأخذ بيد الإنسانية مسرعة .

إن آثار النساء اللاتى تشربن مبادىء پيثجوارس تمتعن بسمعة يغبطن عليها فى العالم اليونانى كله ، حيث كانت نتائج تعاليمه بالنسبة لهن ، مبادىء سامية لأخلاق المرأة ، وعناية تامة بواجبات الأسرة ، والنهوض بوسائل المعيشة الصحيحة فى الحياة ولاسيما تربية الأطفال ، مما لا يزال بعض آثاره باقياً إلى الآن .

وقد كان شعارهن «Saphrosyne» وهو تعبير يعنى الاعتدال والاعتداد بالنفس والحياء ، والفضيلة الزوجية ، وبالاختصار : كل ما هو جدير بأن تكون عليه المرأة . وفيما يلى مثال مما يشير إليه ما ذكر :

زوج پيثجوراس

النساء اللاتى نشأن على مبادئ پيثجوراس على ما امتزن به من تلك الصفات العالية والقوى الإنسانية التى هيأن بها حياة ناجحة ، لم تضارع إحداهن « Theano » ثيانو ذات العقل الراجح زوج پيثجوراس فلقد مزجت الفضيلة بالحكمة مزجاً متناسقاً ، بحيث مثلتها الآثار لها لا كأول امرأة ممتازة فحسب ، بل مثلتها كالنموذج الأول لنشأة المرأة الذكية الصحيحة أيضاً

نعرف عن حياة « ثيانو » بعض حوادث أخلاقية فقط ، وهذا يجعلنا ننفذ إلى حقيقة أخلاقها . وأهمها الأقوال المأثورة التى قالتها فى مناسبات خاصة :

سئلت مرة عما تتمنى أن تتميز به ؟ أجابت ببيت من شعر هومر تمثلت به : « اكترانى بالمنزل ، واعتنائى بفراش زواجى »

وسئلت مرة أخرى : ما الذى تسأل عنه الزوجة ؟

أجابت : أن تعيش خالصة لزوجها

وسئلت أيضاً : ما هو الحب ؟ قالت : الحب هو غرام النفس الوالهة

حدث مرة أنها ألقت رداءها وظهرت ذراعها ، فرآها رجل ودهش من جمال تكوينها ، فقال : ما أجملها من ذراع ! فقالت : ليست لنظرات العامة ، وأسرعت بتغطيتها.

وقد استعار هذه الملاحظة بلوتارخ ، وغيره من رجال الدين من بينهم كليمنت بالإسكندرية ، كما استعارته المؤلفة البيزنطية أنا Anna ، وقد كانت ثيانو شاعرة وكاتبة نابرة ، وقد عثر على قليل من أعمالها الفلسفية والدينية يستدل منها على مقدار نمو مواهبها فى التعليل ، وفى مناقشة مسائل تربية الأطفال ، ومعاملة الخدم ، وكبت الحسد والعواطف الجامحة ، كل ذلك بأسلوب مؤثر حساس لطيف

ولقد كانت أمينة إلى أقصى حد ، فى نشر مبادئ وتعاليم زوجها كمعلمة وكاتبة ، أما موتها وظروفه فغير معروف

هذه صفحة من صفحات المرأة اليونانية الغابرة ، فلعمرى هل يكون نتاج أختها اليونانية الحديثة ، يونانية عصر النور والراديو ، والحديد والنار ، أشبه بنتاجها أو أرقى منه؟ هذا ما نرجوه

زينب الحكيم